

حقوق آل البيت بين السنة والبدعة



لشيخ الإسلام

ابن تيمية

رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وبعد :

فهذه رسالة نادرة لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - قام بنشرها الشيخ أبو تراب الظاهري - رحمه الله - وكذلك الأستاذ عبد القادر عطا - رحمه الله - وقد جمعنا تخريجهم للأحاديث الواردة في الرسالة مع الاختصار وأضفنا حكم العلامة الألباني - رحمه الله - عليها .

وكانت مجلة التصوف الإسلامي قد نشرت الرسالة بتعليق الشيخ أبي تراب لكنها حذفت منها القسم الأخير المتعلق بالمشاهد والقبور !!! ولقد أبقينا على العناوين الفرعية التي وضعها الأستاذ عبد القادر ، والمقدمة التي كتبها الشيخ أبي تراب .

والعنوان الذي نشرته مجلة التصوف هو (فضل أهل البيت وحقوقهم) ولا ندري هل هو من وضعهم أم من صنيع أبي تراب ؟

ولقد نشرها أيضا الشيخ العلامة بكر أبو زيد في كتابه جامع الرسائل المنشورة (١١٥-٦٩/٣) .

مقدمة الشيخ أبو تراب الظاهري

قال أبو تراب :

هذه رسالة نادرة لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وجدتها في كناشتي ، وهي على صغر حجمها جليلة القدر ، لملت بين ثناياها أطراف موضوعها من جميع الجوانب ، كعادة ابن تيمية إذا تكلم في مسألة فهو بحر مواج يبعد عليك الوصول إلى ساحله .

ومحتوى الرسالة كما أنبأنا عنه عنوانها - بيان مذهب السلف في شعبة من شعب الإيمان - التي تتعلق بأعمال القلب وهي حب أهل بيت النبوة كما دل عليه القرآن والحديث ، وقد أوضح ذلك في هذه الرسالة أتم إيضاح ، وكلامه عن ذلك في الفتاوى الكبرى (ج ٣ ص ١٥٤) وهو في العقيدة الواسطية ما نصه : (ومن أصول أهل السنة والجماعة أنهم يحبون أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتولونهم ، ويحفظون فيهم وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث قال يوم غدیر خم : (أذكركم الله في أهل بيتي) ، وقال للعباس عمه - وقد اشتكى إليه أن بعض قريش يحفون بني هاشم - : (والذي نفسي بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرايتي) ، وقال صلى الله عليه وسلم : (إن الله اصطفى بني إسماعيل واصطفى من بني إسماعيل كنانة ، واصطفى من كنانة قريشاً ، واصطفى من قريش بني هاشم) .

وقال في الفتاوى (ج ٣ ص ٤٠٧) وهو في الوصية الكبرى (ص ٢٩٧) ما نصه : (آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم من الحقوق ما يجب رعايتها ، فإن الله جعل لهم حقاً في الخمس والفداء ، وأمر بالصلاة عليهم مع الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لنا : (قولوا : اللهم صل

على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد ،
وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد
مجيد) ، وآل محمد هم الذين حرمت عليهم الصدقة ، هكذا قال الشافعي
وأحمد بن حنبل وغيرهما من العلماء رحمهم الله ، فإن النبي صلى الله عليه
وسلم قال : (إن الصدقة لا تحل ل محمد ولا لآل محمد) ، وقد قال الله في
كتابه : ((إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)) .
وحرّم الله عليهم الصدقة لأنها أوساخ الناس . وفي المسانيد والسنن أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال للعباس - لما شكّا إليه جفوة قوم لهم - (والذي
نفسى بيده لا يدخلون الجنة حتى يجرّوكم من أجلى) وفي الصحيح أنه قال :
(إن الله اصطفى .. الحديث المذكور) .

وأورد شيخ الإسلام ابن تيمية في درجات اليقين (ص ١٤٩) قوله صلى
الله عليه وسلم : (أحبوا الله لما يغذوكم من نعمة وأحبوني لحب الله وأحبوا
أهل بيتي لحبي) .

وقال ابن تيمية في اقتضاء الصراط (ص ٧٣) الحجة قائمة بالحديث .
وقال في (ص ٨٩) وانظر إلى عمر بن الخطاب حين وضع الديوان فبدأ بأهل
بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ونقل العلامة السيد حامد المحضار في الجزء الذي جمع فيه أقوال الشيخين
ابن تيمية وابن القيم (ص ٢٣) قول شيخ الإسلام في رسالة (رأس الحسين)
عقب حديث : (والذي نفسى بيده لا يدخلون الجنة حتى يجرّوكم لله ولقرايتي)
فإذا كانوا أفضل الخلق فلا ريب أن أعمالهم أفضل الأعمال .

هذا والأحاديث في فضائل أهل البيت النبوي مستفيضة في المسانيد
والمعاجم والسنن والمصنفات ، وفيها الضعيف والموضوع مع الصحيح ، وقد
ميز بينها نقاد الحديث ، ومعظمها في جامع المسانيد لابن كثير والجامع الكبير

للسيوطي وكثر العمال للمتقي ، ونقد بعضها ابن كثير في تفسيره (ج ٣ ص ٤٨٣) ، وللمحب الطبري في ذلك تأليف مفرد سماه : ذخائر العقبي في مناقب ذوي القربى ، وانظر شرف بيت النبوة في جلاء الأفهام لابن القيم (ص ١٧٧) ولغلاة الشيعة فيها تأليف مفردة فيها من المنكر شيء كثير ، وحسبنا ما صحت به الرواية ، وجاء به الحديث الثابت ، قال ابن كثير (ج ٤ ص ١١٣) : (ولا ننكر الوصاة بأهل البيت ، والأمر بالإحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم فإنهم من ذرية طاهرة من أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخراً وحسباً ونسباً ، ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه ، وعليّ وأهل بيته وذريته رضي الله عنهم أجمعين) .

وفي صحيح البخاري قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : " ارقبوا محمداً صلى الله عليه وسلم في أهل بيته " .

وقال لعليّ رضي الله عنهما : " والله لقراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إليّ أن أصل من قرابتي " ، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للعباس : " والله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إليّ من إسلام الخطاب لو أسلم ، لأن إسلامك كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب " .

وفي صحيح مسلم عن زيد بن أرقم رضي الله عنه أنه خطب فقال : (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي) ، ورواه الإمام أحمد والنسائي والترمذي ، وفي رواية (كتاب الله وعترتي وإنهما لم يفترقا حتى يردا عليّ الخوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما) .

وروى ذلك أيضاً أبو ذر وأبو سعيد وجابر وحذيفة بن أسيد رضي الله عنهم وأورده ابن تيمية في الفرقان (ص ١٦٣) وفي لفظ مسلم : (أذكركم الله في أهل بيتي) .

قال الطيبي كما في تحفة الأحوذى (ج ٤ ص ٣٤٣) : لعل السر في هذه التوصية واقتران العترة بالقرآن أن إيجاب محبتهم لائح من معنى قوله تعالى : ((قل لا أسلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى)) فإنه تعالى جعل شكر إنعامه وإحسانه بالقرآن منوطاً بمحبتهم على سبيل الحصر فكأنه صلى الله عليه وسلم يوصي الأمة بقيام الشكر ، وقيد تلك النعمة به ، ويحذرهم عن الكفران ، فمن أقام بالوصية ، وشكر تلك الصنعة بحسن الخلافة فيهما لن يفترقا ، فلا يفارقانه في مواطن القيامة ومشاهدتها حتى يردوا الحوض ، فشكر صنيعه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ هو بنفسه يكافئه ، والله تعالى يجزيه الجزاء الأوفى ، فمن أضاع الوصية وكفر النعمة فحكمه على العكس ، وعلى هذا التأويل حسن موقع قوله : (فانظروا كيف تخلفوني فيهما) ، أي : تأملوا وتفكروا واستعملوا الروية في استخلافي إياكم هل تكونون خلف صدق أو خلف سوء .

هذا وفي الرسالة فوائد يحرص أهل العلم على اقتناصها كمسألة إعطاء آل البيت من الزكوات .

وكمسألة تخصيص أصحاب الكساء من عموم أهل البيت الذين نزلت فيهم الآية المذكورة في الأحزاب : ((إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً)) وهم ذوو قرباه وأزواجه اللاقي سيقى الآيات فيهن وفي مخاطبتهن وتنظير ذلك بالمسجد الذي أسس على التقوى ، وهو مسجد قباء وعلى الأخص مسجد النبي صلى الله عليه وسلم .

وكمسألة سيادة الحسن دون الحسين رضي الله عنهما ، وتنظير ذلك بإسحاق وإسماعيل عليهما السلام إلى غير ذلك مما تجده فيها .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام العالم العامل فريد عصره ، مفتي الفرق ، شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ الإمام العالم شهاب الدين عبد الحلیم ابن الشيخ الإمام العلامة مجد الدين عبد السلام بن تيمية رضي الله عنه وأرضاه ، وأعلى درجته :

هذا الكتاب إلى من يصل إليه من الإخوان المؤمنين الذين يتولون الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون . الذين يحبون الله ورسوله ، ومن أحبه الله ورسوله ، ويعرفون من حق المتصلين برسول الله ما شرعه الله ورسوله ، فإن من محبة الله وطاعته محبة رسوله وطاعته ، ومن محبة رسوله وطاعته محبة من أحبه الرسول صلى الله عليه وسلم وطاعة من أمر الرسول بطاعته ، كما قال تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)) .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن أطاع أميري فقد أطاعني ، ومن عصاني فقد عصى الله ، ومن عصى أميري فقد عصاني)^١ ، وقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : (إنما الطاعة في المعروف)^٢ ، وقال : (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)^٣ .

١ - رواه الإمام أحمد والشيخان والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة .

٢ - هذه قطعة حديث أخرجه البخاري ومسلم ، ونصه عند البخاري : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية واستعمل عليهم رجلاً من الأنصار وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا ، فأغضبوه إلى شيء ، فقال : اجمعوا لي حطباً فجمعوا له ثم قال : أوقدوا ناراً فأوقدوا ثم قال : ألم يأمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تسمعوا لي وتطيعوا ؟ قالوا : بلى ، قال : فادخلوها ،

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فإننا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، وهو للحمد أهل وهو على كل شيء قدير ، ونصلي على إمام المتقين ، وخاتم النبيين عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً . أما بعد :

وحدة المسلمين بالكتاب والسنة

فإن الله سبحانه وتعالى بعث محمداً بالكتاب والحكمة ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ، وقال الله تعالى : ((لقد منّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين)) . وقال تعالى : ((واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به)) . وقال لأزواج نبيه صلى الله عليه وسلم : ((واذكرون ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة)) .

والذي كان يتلوه هو رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيوت أزواجه : كتاب الله والحكمة . فكتاب الله هو القرآن ، والحكمة هي ما كان يذكره من كلامه ، وهي سنته صلى الله عليه وسلم . فعلى المسلمين أن يتعلموا هذا وهذا .

فنظر بعضهم إلى بعض فقالوا : إنما فررنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النار ، فكانوا كذلك ، وسكن غضبه وطفئت النار فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : لو دخلوها ما خرجوا منها إنما الطاعة في المعروف .

٣ - رواه أحمد والحاكم والطيالسي عن عمران بن حصين والحكم والغفاري وعبد الله ابن الصامت وله مخرج آخر ، وصححه الألباني في الصحيحة برقم ١٧٩ .

وفي الحديث المشهور الذي رواه الترمذي وغيره عن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ستكون فتنة . قلت : فما المخرج يا رسول الله ؟ قال : كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسن ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم)^٤ .

وقال الله تعالى في كتابه : ((واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)) ، وقال في كتابه : ((إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء)) . فذم الذين تفرقوا فصاروا أحزاباً وشيعاً ، وحمد الذين اتفقوا وصاروا معتصمين بحبل الله الذي هو كتابه شيعة واحدة للأنبياء كما قال تعالى : ((وإن من شيعته لإبراهيم)) ، وإبراهيم أبو الأنبياء ، كما قال : ((وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين)) . وقال تعالى : ((إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يكن من المشركين)) ، إلى أن قال : ((ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين)) .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أمته أن يقولوا إذا أصبحوا : (أصبحنا على فطرة الإسلام ، وكلمة الإخلاص ودين نبينا محمد صلى الله

٤ - أخرجه الترمذي و الدارمي و أحمد ، وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي حديث رقم

عليه وسلم وملة أبينا إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين)^٥ . وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ، فلا ألفين رجلاً شبعان على أريكته يقول : بيننا وبينكم هذا القرآن ، فما وجدنا فيه من حلال حللناه ، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ، ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه)^٦ .

فهذا الحديث موافق لكتاب الله ، فإن الله ذكر في كتابه أنه صلى الله عليه وسلم يتلو الكتاب والحكمة ، وهي التي أوتيتها مع الكتاب ، وقد أمر في كتابه بالاعتصام بحبله جميعاً ، ونهى عن التفرق والاختلاف ، و (أمر) أن نكون شيعة واحدة ، لا شيعاً متفرقين ، وقال الله تعالى في كتابه : ((وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين * إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون)) فجعل المؤمنين إخوة ، وأمر بالإصلاح بينهم بالعدل مع وجود الاقتتال والبغي .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر)^٧ ، وقال : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً)^٨ ، وشبك بين أصابعه .

٥- أخرجه أحمد والطبراني والنسائي عن عبد الرحمن بن أبزى ، وصححه الألباني في الجامع ٤٥٥٠ .

٦- رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن أبي رافع ، وأخرجه أحمد وأبو داود عن المقدم بن معد يكرب أيضاً ، صحيح المشكاة ١٦٢ .

٧- رواه الشيخان و الإمام أحمد .

فهذه أصول الإسلام التي هي الكتاب والحكمة ، والاعتصام بحبل الله جميعاً
(واجب) على أهل الإيمان للاستمسك بها .

أهل البيت وخصائصهم من هم أهل البيت ؟

ولا ريب أن الله قد أوجب فيها من حرمة خلفائه وأهل بيته والسابقين
الأولين ، والتابعين لهم بإحسان ما أوجب . قال الله تعالى : ((يا أيها النبي قل
لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن وأسرحنك
سراحاً جميلاً * وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد
للمحسنات منكن أجراً عظيماً)) .

وقد روى الإمام أحمد والترمذي وغيرهما عن أم سلمة : أن هذه الآية لما
نزلت أدار النبي صلى الله عليه وسلم كساءه على علي وفاطمة والحسن
والحسين رضي الله عنهم فقال : (اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم
الرجس وطهرهم تطهيراً)^٩ . وسنته تفسر كتاب الله وتبينه ، وتدل عليه ،
وتعبر عنه . فلما قال : (هؤلاء أهل بيتي) مع أن سياق القرآن يدل على أن
الخطاب مع أزواجه ، علمنا أن أزواجه وإن كن من أهل بيته كما دل عليه
القرآن ، فهؤلاء أحق بأن يكونوا أهل بيته ، لأن صلة النسب أقوى من صلة
الصهر ، والعرب تطلق هذا البيان للاختصاص بأصل الحكم ، كقول النبي

٨- أخرجه البخاري ومسلم ، عن أبي موسى .

٩- أخرجه الترمذي وأحمد ، صحيح الترمذي ٣٤٣٥ .

صلى الله عليه وسلم ليس المسكين بالطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان ،
والتمررة والتمرتان ، وإنما المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ، ولا يتفطن له من
يتصدق عليه ، ولا يسأل الناس إلحافاً .

بين بذلك : أن هذا مختص بكمال المسكنة ، بخلاف الطواف فإنه لا تكمل
فيه المسكنة ، لوجود من يعطيه أحياناً ، مع أنه مسكين أيضاً . ويقال : هذا
هو العالم ، وهذا هو العدو ، وهذا هو المسلم ، لمن كمل فيه ذلك وإن شاركه
غيره في ذلك وكان دونه .

ونظير هذا في الحديث ما رواه مسلم في صحيحه عن النبي صلى الله عليه
وسلم أنه سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى فقال : (مسجدي هذا)
يعني مسجد المدينة . مع أن سياق القرآن في قوله عن مسجد الضرار : ((لا
تقم فيه أبداً لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه
رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين)) . يقتضي أنه مسجد قباء .
فإنه قد تواتر أنه قال لأهل قباء : (ما هذا الطهور الذي أثنى الله عليكم به ؟
فقالوا : لأننا نستنجي بالماء)^{١٠} . لكن مسجده أحق بأن يكون مؤسساً على
التقوى من مسجد قباء ، وإن كان كل منهما مؤسساً على التقوى ، وهو
أحق أن يقوم فيه من مسجد الضرار ، فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم :
"أنه كان يأتي قباء كل سبت راكباً وماشياً ، فكان يقوم في مسجده القيام
الجامع يوم الجمعة ، ثم يقوم بقاء يوم السبت"^{١١} ، وفي كل منهما قد قام في
المسجد المؤسس على التقوى .

١٠ - أخرجه أحمد وابن ماجه . صحيح ابن ماجه ٦٢/١ .

١١ - رواه الشيخان .

ولما بين سبحانه أنه يريد أن يذهب الرجس عن أهل بيته ويطهرهم تطهيرا ،
دعا النبي صلى الله عليه وسلم لأقرب أهل بيته وأعظمهم اختصاصاً به ،
وهم: علي ، وفاطمة ، رضي الله عنهما ، وسيدا شباب أهل الجنة ، جمع الله
لهم بين أن قضى لهم بالتطهير ، وبين أن قضى لهم بكمال دعاء النبي صلى الله
عليه وسلم ، فكان في ذلك ما دلنا على أن إذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم
نعمة من الله ليسبغها عليهم ، ورحمة من الله وفضل لم يبلغوها بمجرد حولهم
وقوتهم ، إذ لو كان كذلك لاستغنوا بهما عن دعاء النبي صلى الله عليه
وسلم، كما يظن من يظن أنه استغنى في هدايته وطاعته عن إعانة الله تعالى له ،
وهدايته إياه .

وقد ثبت أيضاً بالنقل الصحيح : (أن هذه الآيات لما نزلت قرأها النبي
صلى الله عليه وسلم على أزواجه ، وخيّرهن كما أمره الله ، فاخترن الله
ورسوله والدار الآخرة ، ولذلك أقرهن ، ولم يطلقهن ، حتى مات عنهن)^{١٢} ،
ولو أردن الحياة الدنيا وزينتها لكان يتمتعن ويسرحهن كما أمره الله سبحانه
وتعالى، فإنه صلى الله عليه وسلم أخشى الأمة لربه وأعلمهم بحدوده .

ولأجل ما دلت عليه هذه الآيات من مضاعفة للأجور والوزر بلغنا عن
الإمام علي بن الحسين زين العابدين وقرة عين الإسلام أنه قال : (إني لأرجو
أن يعطي الله للمحسن منا أجرين ، وأخاف أن يجعل على المسيء منا وزرين) .

وثبت في صحيح مسلم عن زيد بن أرقم أنه قال : خطبنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم بغدير يدعى (خم) بين مكة والمدينة فقال : (وأهل بيتي ،
أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي) . قيل لزيد بن أرقم :

ومن أهل بيته ؟ قال : الذين حرموا الصدقة : آل علي ، وآل جعفر ، وآل عقيل ، وآل عباس . قيل لزيد : أكل هؤلاء أهل بيته ؟ قال : نعم ^{١٣} .

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه صحاح أن الله لما أنزل عليه : ((إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً)) . سأل الصحابة : كيف يصلون عليه ؟ فقال : (قولوا : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد) ^{١٤} . وفي حديث صحيح : (اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته) .

ما لهم وما عليهم :

وثبت عنه أن ابنه الحسن لما تناول ثمرة من تمر الصدقة قال له : (كخ ، كخ ، أما علمت أننا آل البيت لا تحل لنا الصدقة) ^{١٥} ، وقال : (إن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد) ^{١٦} . وهذا والله أعلم من التطهير الذي شرعه الله لهم ، فإن الصدقة أوساخ الناس ، فطهرهم الله من الأوساخ ، وعوضهم بما يقبضهم من خُمس الغنائم ، ومن الفياء الذي جعل منه رزق محمد حيث قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه أحمد وغيره : (بعثت بالسيف بين يدي الساعة ، حتى

^{١٣} - رواه مسلم و أحمد والنسائي والترمذي .

^{١٤} - رواه الشيخان .

^{١٥} - رواه البخاري .

^{١٦} - أخرجه الدارمي والنسائي ومالك ، صحيح (صحيح الجامع ١٦٦٠) .

يعبد الله وحده لا شريك له ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم)^{١٧} .

ولهذا ينبغي أن يكون اهتمامهم بكفاية أهل البيت الذين حرمت عليهم الصدقة أكثر من اهتمامهم بكفاية الآخرين من الصدقة ، لا سيما إذا تعذر أخذهم من الخمس والفيء ، إما لقلة ذلك ، وإما لظلم من يستولي على حقوقهم ، فيمنعهم إياها من ولاية الظلم ، فيعطون من الصدقة المفروضة ما يكفيهم إذا لم تحصل كفايتهم من الخمس والفيء"^{١٨} .

صفات أهل الفيء :

وعلى الآخذين من الفيء من ذوي القربى وغيرهم أن يتصفوا بما وصف الله به أهل الفيء في كتابه حيث قال : ((ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل)) الآيات .

فجعل أهل الفيء ثلاثة أصناف : المهاجرين ، والأنصار ، "والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم" .

وذلك أن الفيء إنما حصل بجهاد المهاجرين والأنصار وإيمانهم وهجرتهم ونصرتهم ، فالتأخرون إنما يتناولونه مخلفا عن أولئك ، مشبها بتناول الوارث ميراث أبيه ، فإن لم يكن مواليا له لم يستحق الميراث ، (فلا يرث المسلم الكافر)^{١٩} ، فمن لم يستغفر لأولئك بل كان مبغضا لهم خرج عن الوصف

^{١٧} - رواه البخاري تعليقا وأحمد ، صحيح الجامع ٢٨٢٨ .

^{١٨} - قال أبو تراب : وقال بذلك أبو سعيد الأصبخري قال الرافعي : وكان محمد بن يحيى صاحب الغزالي يفتي بهذا . انظر شرح المذهب للنووي ج ٦ ص ٢٢٧ .

^{١٩} - قال عبد القادر عطا : لانقطاع الموالاة بينهما لحديث اسامة بن زيد الذي أخرجه أحمد والبخاري ومسلم والاربعة .

الذي وصف الله به أهل الفياء ، حتى يكون قلبه مسلماً لهم ، ولسانه داعياً لهم ، ولو فرض أنه صدر من واحد منهم ذنب محقق فإن الله يغفره له بحسناته العظيمة ، أو بتوبة تصدر منه ، أو يبتليه ببلاء يكفر به سيئاته ، أو يقبل في شفاعته نبيه وإخوانه المؤمنين ، أو يدعو الله بدعاء يستجيب له .

سب الصحابة ... حرام على آل البيت وغيرهم :

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصحاح من رواية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن حاطب بن أبي بلتعة كاتب كفار مكة لما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يغزوهم غزوة الفتح ، فبعث إليهم امرأة معها كتاب يخبرهم فيه بذلك ، فجاء الوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ، فبعث علياً والزبير فأحضروا الكتاب ، فقال : (ما هذا يا حاطب ؟) فقال : والله يا رسول الله ما فعلت ذلك أذى ولا كفراً ، ولكن كنت امرأةً ملصقة من قريش ، ولم أكن من أنفسهم ، وكان من معك من أصحابك لهم قرابات يحمون بها أهليهم ، فأردت أن أتخذ عندهم يداً أحمي بها قرابتي ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق . فقال صلى الله عليه وسلم : (إنه شهد بدرًا ، وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) . وأنزل الله تعالى في ذلك : ((يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة)) الآيات .

وثبت في صحيح مسلم أن غلام حاطب هذا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله والله ليدخلن حاطب النار ، وكان حاطب يسيء إلى مماليكه . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (كذبت ، إنه قد شهد بدرًا

والحديبية) . وقال صلى الله عليه وسلم : (لا يدخل النار واحد بايع تحت الشجرة)^{٢٠} .

فهذا حاطب قد تجسس على رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة فتح مكة التي كان صلى الله عليه وسلم يكتمها عن عدوه ، وكتمها عن أصحابه ، وهذا من الذنوب الشديدة جدا ، وكان يسيء إلى مماليكه ، وفي الحديث المرفوع ، (لن يدخل الجنة سيء الملكة)^{٢١} . ثم مع هذا لما شهد بدرا والحديبية غفر الله له ورضي عنه ، فإن الحسنات يذهبن السيئات . فكيف بالذين هم أفضل من حاطب وأعظم إيمانا وعلما وهجرة وجهادا ، فلم يذنب أحد قريبا من ذنوبه ؟! .

ثم إن أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه روى هذا الحديث في خلافته ، ورواه عنه كاتبه عبيد الله بن أبي رافع ، وأخبر فيه أنه هو والزبير ذهابا لطلب الكتاب من المرأة الطعينة ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم شهد لأهل بدر بما شهد ، مع علم أمير المؤمنين بما جرى ، ليكف القلوب والألسنة عن أن تتكلم فيهم إلا بالحسنى ، فلم يأت أحد منهم بأشد مما جاء به حاطب ، بل كانوا في غالب ما يأتون به مجتهدين ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : (إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر)^{٢٢} .. وهذا حديث صحيح مشهور .

٢٠ - رواه أحمد وأبو داود والترمذي عن جابر ومسلم عن أم بشر .

٢١ - أخرجه الترمذي وابن ماجه واحمد ، ضعيف (ضعيف ابن ماجه ٣٦٩١) .

٢٢ - رواه الشيخان .

وثبت عنه أيضا أنه لما كان في غزوة الأحزاب فرد الله الأحزاب بغيظهم لم ينالوا خيرا ، وأمر نبيه بقصد بني قريظة قال لأصحابه : (لا يصلين أحد منكم العصر إلا في بني قريظة)^{٢٣} ، فأدركتهم الصلاة في الطريق ، فمنهم قوم قالوا : لا نصليها إلا في بني قريظة ، ومنهم قوم قالوا : لم يرد منا تفويت الصلاة، إنما أراد المسارعة ، فصلوا في الطريق . فلم يعنف النبي صلى الله عليه وسلم واحدة من الطائفتين .

وكانت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه موافقة لما ذكره الله سبحانه وتعالى حيث قال : ((وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما)) فأخبر سبحانه وتعالى أنه خص أحد النبيين بفهم الحكم في تلك القضية ، وأثنى على كل منهما بما آتاه من العلم والحكم .
فهكذا السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ورضوا عنه ، كانوا فيما تنازعوا فيه مجتهدين طالبن للحق .

جهل الشيعة بمذهب الإمام علي

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من يعيش منكم فسيروا) ، فإياكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة)^{٢٤} .

٢٣ - رواه البخاري .

٢٤ - رواه أبو داود و الترمذي وابن ماجه ، صحيح (صحيح الترغيب ١/١٢٣) .

وروى عنه مولاه سفينة أنه قال : (الخلافة ثلاثون سنة ، ثم تصير ملكا) ^{٢٥} .
فكان آخر الثلاثين حين سلم سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحسن
ابن علي رضي الله عنهما الأمر إلى معاوية . وكان معاوية أول الملوك ، وفيه
ملك ورحمة ، كما روى في الحديث : (ستكون خلافة نبوة ، ثم يكون ملك
ورحمة ، ثم يكون ملك وجبرية ، ثم يكون ملك عضوض) ^{٢٦} .

وقد ثبت عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من وجوه أنه لما قاتل أهل
الجمل لم يسب لهم ذرة ، ولم يغنم لهم مالا ، ولا أجهز على جريح ، ولا اتبع
مدبرا ، ولا قتل أسيرا ، وأنه صلى على قتلى الطائفتين بالجمل وصفين ، وقال :
(إخواننا بغوا علينا) ^{٢٧} . وأخبر أنهم ليسوا بكفار ولا منافقين ، واتبع
فيمـا قاله كتاب الله وسـنة نبيـه صلى الله عليه وسلم ، فإن
الله سـماهم إـخوة وجعلهم مؤمنين في الاقتتال و البغي كما ذكر في قوله :
((وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا)) .

وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصحاح أنه قال : (تمرق مارقة
على حين فرقة من المسلمين ، تقتلهم أولى الطائفتين بالحق) ^{٢٨} .
وهذه المارقة هم أهل حروراء ، الذين قتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي
طالب رضي الله عنه وأصحابه لما مرقوا من الإسلام ، وخرجوا عليه ، فكفروه ،
وكفروا سائر المسلمين ، واستحلوا دماءهم وأموالهم .

٢٥ - رواه أحمد ، صحيح (صحيح الجامع ٣٣٣٦) .

٢٦ - أخرجه أبو داود والترمذي وأحمد ، صحيح (الصحيحة ٥) .

٢٧ - رواه ابن أبي شيبة .

٢٨ - أخرجه مسلم وأبو داود عن أبي سعيد .

وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من طرق متواترة أنه وصفهم وأمر بقتالهم ، فقال : (يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم، وقرآنه مع قرآنهم ، يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، لو يعلم الذين يقتلونهم ما لهم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم لنكلوا عن العمل) ^{٢٩} . فقتلهم علي رضي الله عنه وأصحابه ، وسرَّ أمير المؤمنين بقتلهم سرورا شديدا وسجد لله شكرا ، لما ظهر فيهم علامتهم وهو المخذج اليد ، الذي على يده مثل البضعة من اللحم ، عليها شعرات فاتفق جميع الصحابة على استحلال قتالهم ، وندم كثير منهم كابن عمر وغيره على ألا يكونوا شهدوا قتالهم مع أمير المؤمنين ، بخلاف ما جرى في وقعة الجمل وصفين ، فإن أمير المؤمنين كان متوجعا لذلك القتال ، متشكياً مما جرى ، يتراجع هو وابنه الحسن القول فيه ، ويذكر له الحسن أن رأيه ألا يفعله .

فلا يستوي ما سر قلب أمير المؤمنين وأصحابه وغطه به من لم يشهده ، مع ما تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه وساء وساء قلب أفضل أهل بيته ، حب النبي صلى الله عليه وسلم ، الذي قال فيه : (اللهم إني أحبه فأحبه ، وأحب من يحبه) ^{٣٠} . وإن كان أمير المؤمنين هو أولى بالحق ممن قاتله في جميع حروبه .

ولا يستوي القتلى الذين صلى عليهم و سماهم إخواننا ، والقتلى الذين لم يصل عليهم ، بل قيل له : من الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ؟ فقال : هم أهل حروراء.

٢٩- رواه الشيخان .

٣٠- رواه البخاري .

فهذا الفرق بين أهل حروراء وبين غيرهم الذي سماه أمير المؤمنين في خلافته بقوله وفعله موافقا فيه لكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم هو الصواب الذي لا معدل عنه لمن هُدِيَ رُشْدُهُ ، وإن كان كثير من علماء السلف والخلف لا يهتدون لهذا الفرقان ، بل يجعلون السير في الجميع واحدة . فإما أن يقصروا بالخوارج عما يستحقونه من البغض واللعن والقتل وإما يزيدوا على غيرهم ما يستحقون من ذلك .

عوامل الضلال

وسبب ذلك قلة العلم والفهم لكتاب الله وسنة رسوله الثابتة عنه ، وسيرة خلفائه الراشدين المهديين ، وإلا فمن استهدى الله واستعان به ، وبحث عن ذلك ، وطلب الصحيح من المنقول ، وتدبر كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وسنة خلفائه رضي الله عنهم ، ولا سيما سيرة أمير المؤمنين الهادي المهدي التي جرى فيها ما اشتبه على خلق كثير فضلوا بسبب ذلك ، إما غلوا فيه ، وإما جفاء عنه ، كما رُوِيَ عنه قال : (يهلك في رجلان : محب غال يقرظني بما ليس في ، ومبغض قال يرميني بما نزهني الله منه) ^{٣١} .

وحد ذلك وملاك ذلك شيئان : طلب الهدى ، ومجانبة الهوى ، حتى لا يكون الإنسان ضالا وغاويا ، بل مهتديا راشدا ، قال الله تعالى في حق نبيه صلى الله عليه وسلم : ((والنجم إذا هوى * ما ضل صاحبكم وما غوى *)

٣١ - رواه أحمد وإسناده ضعيف وجاء عند ابن أبي عاصم (يهلك في رجلان مفرط في حي ومفرط في بغضي) وحسنه الألباني (السنة لابن أبي عاصم ٩٨٤) .

وما ينطق عن الهوى * إن هو إلا وحي يوحى)) . فوصفه بأنه ليس بضال - أي ليس بجاهل - ولا غاو - أي ولا ظالم - فإن صلاح العبد في أن يعلم الحق ويعمل به ، فمن لم يعلم الحق فهو ضال عنه . ومن علمه فخالفه واتبع هواه فهو غاو ، ومن علمه وعمل به كان من أولي الأيدي عملا ، ومن أولي الأبصار علما ، وهو الصراط المستقيم الذي أمرنا الله سبحانه في كل صلاة أن نقول : ((اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين)) .

فالمغضوب عليهم : الذين يعرفون الحق ولا يتبعونه كاليهود ، والضالون : الذين يعملون أعمال القلوب و الجوارح بلا علم كالنصارى . ولهذا وصف الله اليهود بالغواية في قوله تعالى : ((سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشدا لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا)) .

ووصف العالم الذي لم يعمل بعلمه في قوله تعالى : ((واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين * ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه)) . ووصف النصارى بالضلال في قوله تعالى : ((ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل)) .

ووصف بذلك من يتبع هواه بغير علم حيث قال : ((وإن كثيرا ليضلوا بأهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم بالمعتدين)) . وقال : ((ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله)) .

وأخبر من اتبع هداية المتزل فإنه لا يضل كما ضل الضالون ، ولا يشقى كما يشقى المغضوب عليهم فقال : ((فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي

فلا يضل ولا يشقى)) . قال ابن عباس : تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألا يضل في الدنيا ، ولا يشقى في الآخرة .

ومن تمام الهداية : أن ينظر المستهدي في كتاب الله وفيما تواتر من سنة نبيه ، وسنة الخلفاء ، وما نقله الثقات الأثبات ، ويميز بين ذلك وبين ما نقله من لا يحفظ الحديث ، أو يتهم فيه بكذب لغرض من الأغراض ، فإن المحدث بالباطل إما أن يتعمد الكذب ، أو يكذب خطأ لسوء حفظه أو نسيانه ، أو لقلّة فهمه وضبطه .

ثم إذا حصلت للمستهدي المعرفة بذلك تدبر ذلك ، وجمع بين المتفق منه ، وتدبر المختلف منه ، حتى يتبين أنه متفق في الحقيقة وإن كان الظاهر مختلفا ، أو أن بعضه راجح يجب اتباعه ، والآخر مرجوح ليس بدليل في الحقيقة ، وإن كان في الظاهر دليلا .

أما غلط الناس فالعدم التمييز بين ما يعقل من النصوص والآثار ، أو يعقل بمجرد القياس والاعتبار ، ثم إذا خالط الظن والغلط في العلم هوى النفوس ومناها في العمل صار لصاحبها نصيب من قوله تعالى: ((إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى)) .

وهذا سبب ما خلق الإنسان عليه من الجهل في نوع العلم ، والظلم في نوع العمل فجهله يتبع الظن ، وبظلمه يتبع ما تهوى الأنفس . ولما بعث الله رسله وأنزل كتبه ، لهدى الناس وإرشادهم ، صار أشدهم اتباعا للرسول أبعدهم عن ذلك ، كما قال تعالى : ((كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم)) .

ولهذا صار ما وصف الله به الإنسان لا يخص غير المسلمين دونهم ، ولا يخص طائفة من الأمة ، لكن غير المسلمين أصابهم ذلك في أصول الإيمان التي صار جهلهم وظلمهم فيها كفراناً وخسرانا مبينا، ولذلك من ابتدع في أصول الدين بدعة جليلة أصابه من ذلك أشد مما يصيب من خطأ في أمر دقيق أو أذنب فيه ، والنفوس لهجةٌ بمعرفة محاسنها ، ومساوئ غيرها .

وأما العالم العادل فلا يقول إلا الحق ، ولا يتبع إلا إياه ، ولهذا من يتبع المنقول الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وخلفائه ، وأصحابه ، وأئمة أهل بيته ، مثل الإمام علي بن الحسين زين العابدين ، وابنه الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر ، وابنه الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق شيخ علماء الأمة ، ومثل أنس بن مالك ، والثوري وطبقتهما ، وجد ذلك جميعه متفقا مجتمعا في أصول دينهم ، وجماع شرائعهم ، ووجد في ذلك ما يشغله وما يغنيه عما أحدثه كثير من المتأخرين من أنواع المقالات التي تخالف ما كان عليه أولئك السلف وهؤلاء المتأخرين ، ممن ينتصب لعداوة آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويبخسهم حقوقهم ، ويؤذيهم ، أو ممن يغلو فيهم غير الحق ، ويفتري عليهم الكذب ، ويبخس السابقين والطائعين حقوقهم ، ورأى أن في المأثور عن أولئك السلف في باب التوحيد والصفات ، وباب العدل والقدر ، وباب الإيمان والأسماء والأحكام ، وباب الوعيد والثواب ، والعذاب ، وباب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وما يتصل به من حكم الأمراء أبرارهم وفجارهم ، وحكم الرعية معهم ، والكلام في الصحابة والقراة ما يبين لكل عاقل عادل أن السلف المذكورين لم يكن بينهم من التزاع في هذه الأبواب إلا من جنس التزاع الذي أقرهم عليه الكتاب والسنة كما تقدم ذكره ، وإن البدع الغليظة المخالفة للكتاب والسنة ، واتفاق أولي الأمر الهداة المهتدين إنما حدثت مع الأخلاف ، وقد يعزرون بعض ذلك إلى

بعض الأسلاف ، تارة بنقل غير ثابت ، وتارة بتأويل لشيء من كلامهم متشابه .

ثم إن من رحمة الله أنه قلَّ أن ينقل عنهم شيء من ذلك إلا وفي النقول الصحيحة الثابتة عنهم للقول المحكم الصريح ما يبين غلط الغالطين عليهم في النقل أو التأويل ، وهذا لأن الصراط المستقيم في كل الأمة بمنزلة الصراط في الملك ، فكمال الإسلام هو الوسط في الأديان والملك ، كما قال تعالى : ((وكذلك جعلناكم أمة وسطا)) لم ينحرفوا انحراف اليهود والنصارى والصابئين .

فكذلك أهل الاستقامة ، ولزوم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما عليه السلف ، تمسكوا بالوسط ، ولم ينحرفوا إلى الأطراف ، فاليهود مثلاً جفوا في الأنبياء والصديقين حتى قتلوهم وكذبوهم ، كما قال الله تعالى : ((فريقا كذبتم وفريقا تقتلون)) ، والنصارى غلوا فيهم حتى عبدوهم كما قال تعالى : ((يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق)) الآية .

واليهود انحرفوا في النسخ حتى زعموا أنه لا يقع من الله ولا يجوز عليه ، كما ذكر الله عنهم إنكاره في القرآن حيث قال : ((سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها)) والنصارى قابلوهم فجوزوا للقسيسين والرهبان أن يوجبوا ما شاءوا ، ويحرموا ما شاءوا ، وكذلك تقابلهم في سائر الأمور .

فهدى الله المؤمنين إلى الوسط ، فاعتقدوا في الأنبياء ما يستحقونه ، ووقروهم ، وعزروهم ، وأحبوهم ، وأطاعوهم ، واتبعوهم ، ولم يردوهم كما فعلت اليهود ، ولا أطروهم ولا غلوا بهم فترلوهم منزلة الربوبية كما فعلت

النصارى ، وكذلك في النسخ ، جوزوا أن ينسخ الله ، ولم يجوزوا لغيره أن ينسخ ، فإن الله له الخلق والأمر ، فكما لا يخلق غيره لا يأمر غيره .

وهكذا أهل الاستقامة في الإسلام المعتصمون بالحكمة النبوية ، والعصبة الجماعية ، متوسطون في باب التوحيد والصفات بين النفاة المعطلة وبين المشبهة الممثلة ، وفي باب القدر والعدل والأفعال بين القدرية والجبرية والقدرية والجوسية ، وفي باب الأسماء والأحكام بين من أخرج أهل المعاصي من الإيمان بالكلية كالخوارج أهل المتزلة ، وبين من جعل إيمان الفساق كإيمان الأنبياء والصديقين كالمرجئة والجهمية ، وفي باب الوعيد والثواب والعقاب بين الوعديين الذين لا يقولون بشفاعة نبينا لأهل الكبائر ، وبين المرجئة الذين لا يقولون بنفوذ الوعيد . وفي باب الإمامة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين الذين يوافقون الولاة على الإثم والعدوان ، ويركنون إلى الذين ظلموا ، وبين الذين لا يرون أن يعاونوا أحدا على البر والتقوى ، لا على جهاد ولا على جمعة ولا أعياد إلا أن يكون معصوما ، ولا يدخلوا فيما أمر الله به ورسوله إلا في طاعة من لا وجود له .

فالأولون يدخلون في المحرمات ، وهؤلاء يتركون واجبات الدين ، وشرائع الإسلام ، وغلاتهم يتركونها لأجل موافقة من يظنونه ظلماً ، وقد يكون كاملاً في علمه وعدله .

أهل الاستقامة ... عند المصيبة

وأهل الاستقامة والاعتدال يطيعون الله ورسوله بحسب الإمكان ، فيتقون الله ما استطاعوا ، ولا يتركون ما أمروا به لفعل غيرهم ما فهمى عنه ، بل كما قال

تعالى : ((يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا
اهتديتم)) . ولا يعاونون أحدا على المعصية ، ولا يزيلون المنكر بما هو أنكر
منه ، ولا يأمرّون بالمعروف إلا بالمعروف ، فهم وسط في عامة الأمور ، ولهذا
وصفهم النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم الطائفة الناجية لما ذكر اختلاف أمته
وافتراقهم .

ومن ذلك أن اليوم الذي هو يوم عاشوراء الذي أكرم الله فيه سبط نبيه ،
وأحد سيدي شباب أهل الجنة بالشهادة على أيدي من قتله من الفجرة
الأشقياء ، وكان ذلك مصيبة عظيمة من أعظم المصائب الواقعة في الإسلام .
وقد روى الإمام أحمد وغيره عن فاطمة بنت الحسين وقد كانت شهدت
مصرع أبيها ، عن أبيها الحسين بن علي رضي الله عنه ، عن جده رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ما من رجل يصاب بمصيبة فيذكر مصيئته
وإن قدمت ، فيحدث لها استرجاعا إلا أعطاه الله من الأجر مثل أجره يوم
أصيب بها) ^{٣٢} .

فقد علم الله أن مثل هذه المصيبة العظيمة سيتجدد ذكرها مع تقادم العهد ،
فكان من محاسن الإسلام أن روى هذا الحديث صاحب المصيبة والمصاب به
أولا ، ولا ريب أن ذلك إنما فعله الله كرامة للحسين رضي الله عنه ، ورَفَعَا
لدرجته ومترلته عند الله ، وتبليغا له منزل الشهداء ، وإحاقا له بأهل بيته
الذين ابتلوا بأصناف البلاء ، ولم يكن الحسن والحسين حصل لهما من الابتلاء
ما حصل لجدّهما ولأُمهما وعمهما ، لأنهما ولدا في عز الإسلام ، وتربّيا في
حجور المؤمنين ، فأتم الله نعمته عليهما بالشهادة ، أحدهما مسموما ، والآخر
مقتولا ، لأن الله عنده من المنازل العالية في دار كرامته ما لا ينالها إلا أهل

^{٣٢} - أخرجه أحمد وابن ماجه ، ضعيف جدا (ضعيف ابن ماجه ١٦٠٠) .

البلاء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم وقد سئل : أي الناس أشد بلاء ؟ فقال : (الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل ، يُبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه ، وإن كان في دينه رقة خفف عنه ، وما يزال البلاء بالمؤمن حتى يمشي على الأرض وليس عليه خطيئة) ^{٣٣} .

وشقي بقتله من أعان عليه ، أو رضي به ، فالذي شرعه الله للمؤمنين عند الإصابة بالمصائب وإن عظمت أن يقولوا : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وقد روى الشافعي في مسنده أن النبي صلى الله عليه وسلم لما مات وأصاب أهل بيته من المصيبة ما أصابهم ، سمعوا قائلاً يقول : " يا آل بيت رسول الله ، إن في الله عزاء من كل مصيبة ، وخلفا من كل هالك ، ودركا من كل فائت ، فبالله فثقوا ، وإياه فارجوا ، فإن المصائب من حُرِّم الثواب .. " .

فكانوا يرونه الخضر جاء يعزيهم بالنبي صلى الله عليه وسلم.

فأما اتخاذ المآثم في المصائب ، واتخاذ أوقاتها مآثم ، فليس من دين الإسلام ، وهو أمر لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أحد من السابقين الأولين ، ولا من التابعين لهم بإحسان ، ولا من عادة أهل البيت ، ولا غيرهم ، وقد شهد مقتل علي أهل بيته ، وشهد مقتل الحسين من شهوده من أهل بيته ، وقد مرت على ذلك سنون كثيرة ، وهم متمسكون بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يحدثون مآثما ولا نياحة ، بل يصبرون ويسترجعون كما أمر الله ورسوله ، أو يفعلون ما لا بأس به من الحزن والبكاء عند قرب المصيبة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : (ما كان من العين والقلب فممن الله ، وما كان من اليد واللسان فممن الشيطان) ^{٣٤} ، وقال : (ليس منا من

^{٣٣} - أخرجه الإمام أحمد ، والترمذي ، وابن ماجه ، صحيح (صحيح الترغيب ٣/٣٢٩).

^{٣٤} - أخرجه أبو نعيم ، وهو ضعيف جدا .

لطم الخدود ، وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية ^{٣٥} ، يعني مثل قول المصاب : يا سنداه يا ناصراره ، يا عضداه . وقال : (إن النائحة إذا لم تتب قبل موتها فإنها تلبس يوم القيامة درعا من جرب ، وسربالا من قطران) ^{٣٦} . وقال : (لعن الله النائحة والمستمعة إليها) ^{٣٧} .

وقد قال في تزييله : ((يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبائعنك على ألا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم)) . وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم قوله : ((ولا يعصينك في معروف)) بأنها النياحة . وتبرأ النبي صلى الله عليه وسلم من الحالقة والصالقة . والخالقة : التي تحلق شعرها عند المصيبة ، والصالقة : التي ترفع صوتها عند المصيبة . وقال جرير بن عبد الله : كنا نعد الاجتماع إلى أهل الميت وصنعهم الطعام للناس من النياحة ، وإنما السنة : أن يصنع لأهل الميت طعام ، لأن مصيبتهم تشغلهم ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لما نعى جعفر بن أبي طالب لما استشهد بمؤتة فقال : (اصنعوا لآل جعفر طعاما فقد جاءهم ما يشغلهم) ^{٣٨} .

وهكذا ما يفعل قوم آخرون يوم عاشوراء من الاكتحال والاختضاب أو المصافحة والاعتسال ، فهو بدعة أيضا لا أصل لها ،

٣٥ - أخرجه الشيخان وأحمد والترمذي والنسائي وابن ماجه .

٣٦ - رواه مسلم .

٣٧ - أخرجه أحمد وأبو داود ، ضعيف (ضعيف الجامع ٤٦٩٣) .

٣٨ - أخرجه الترمذي وابن ماجه ، حسن (صحيح الجامع ١٠٢٦) .

ولم يذكرها أحد من الأمة المشهورين ، وإنما رُويَ فيها حديث :
(من اغتسل يوم عاشوراء لم يمرض تلك السنة ، ومن اكتحل يوم
عاشوراء لم يرمد ذلك العام) ^{٣٩} ونحو ذلك ، ولكن الذي ثبت
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه صام يوم عاشوراء ، وأمر بصيامه وقال
صلى الله عليه وسلم : (صومه يكفر سنة) ^{٤٠} .

وقرر النبي صلى الله عليه وسلم أن الله أنجى فيه موسى وقومه ، وأغرق
فرعون وقومه ، وروى أنه كان فيه حوادث الأمم .. فمن كرامة الحسين أن
الله جعل استشهاده فيه .

وقد يجمع الله في الوقت شخصا أو نوعا من النعمة التي توجب شكرا ، أو
الحنّة التي توجب صبرا ، كما أن سابع عشر شهر رمضان فيه كانت وقعة
بدر ، وفيه كان مقتل علي .. وأبلغ من ذلك: أن يوم الاثنين في ربيع الأول
فيه مولد النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيه هجرته ، وفيه وفاته .

والعبد المؤمن يبتلى بالحسنات التي تُسرُّه ، والسيئات التي تسوءه في
الوقت الواحد ، ليكون صبارا، شكورا ، فكيف إذا وقع مثل ذلك في وقتين
متعددين من نوع واحد .

ويُسْتَحَبُّ صوم التاسع والعاشر ، ولا يُسْتَحَبُّ الكحل ، والذين يصنعونه
من الكحل من أهل الدين لا يقصدون به مُنَاصَبَةَ أهل البيت ، وإن كانوا
مخطئين في فعلهم ، ومن قصد منهم أهل البيت بذلك أو غيره ، أو فرح ، أو
استشفى بمصائبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . فقد قال النبي

٣٩ - موضوع (الضعيفة ٨٩/٢) .

٤٠ - أخرجه أحمد ومسلم والترمذي .

صلى الله عليه وسلم : (والذي نفسي بيده لا يدخلون الجنة حتى يحبوكم من أجلي)^{٤١} ، لما شكوا إليه العباس أن بعض قريش يجفون بني هاشم وقال : (إن الله اصطفى قريشا من بني كنانة ، واصطفى بني هاشم من قريش ، واصطفاني من بني هاشم)^{٤٢} . ورؤي عنه أنه قال : (أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة ، وأحبوني لحب الله ، وأحبوا أهل بيتي لحبي)^{٤٣} .
وهذا باب واسع يطول القول فيه .

بدع وضلالات

وكان سبب هذه المواصلة أن بعض الإخوان قَدِمَ بورقة فيها ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ، وذكر سادة أهل البيت ، وقد أجرى فيها ذكر النذور لمشهد المنتظر ، فخطب من فضائل أهل البيت وحقوقهم ، بما سرَّ قلبه ، وشرح صدره ، وكان ما ذكر بعض الواجب ، فإن الكلام في هذا طويل ، ولم يحتمل هذا الحامل أكثر من ذلك . وخطب فيما يتعلق بالأنساب والنذور بما يجب في دين الله ، فسأل المكاتبه بذلك إلى من يذهب إليه من الإخوان ، فإن

٤١ - أحمد والترمذي مع اختلاف في الألفاظ ، ضعيف (ضعيف الترمذي ٧٧٤) .

٤٢ - أخرجه مسلم والترمذي عن واثلة .

٤٣ - أخرجه الترمذي والحاكم ، ضعيف (ضعيف الجامع ١٧٦) .

النبي صلى الله عليه وسلم قال : (الدين النصيحة) ، قالوا لمن يا رسول الله ؟ قال : (لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم)^{٤٤} .

أما ورقة الأنساب والتواريخ ففيها غلط في مواضع متعددة ، مثل ذكره أن النبي صلى الله عليه وسلم توفي في صفر ، وأنه محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب بن عمرو بن العلاء بن هاشم ، وأن جعفر الصادق توفي في خلافة الرشيد وغير ذلك .

فإنه لا خلاف بين أهل العلم أن النبي صلى الله عليه وسلم توفي في شهر ربيع الأول ، شهر مولده وشهر هجرته ، وأنه توفي يوم الاثنين وفيه ولد ، وفيه أنزل عليه . وجده هاشم بن عبد مناف ، وإنما كان هاشم يسمى عمرا ، ويقال له : عمرو العلاء ، كما قال الشاعر :

عمر العلاء هشم الشريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف

وأن جعفرأبا عبد الله توفي في سنة ثمان وأربعين في إمارة أبي جعفر المنصور ، وأما المنتظر فقد ذكر طائفة من أهل العلم بأنساب أهل البيت : أن الحسن بن علي العسكري لما توفي بعسكر سامراء لم يعقب ولم ينسل ، وقال من أثبتته : إن أباه لما توفي في سنة ستين ومائتين كان عمره سنتين أو أكثر من ذلك بقليل ، وأنه غاب من ذلك الوقت وأنه من ذلك الوقت حجة الله على أهل الأرض ، لا يتم الإيمان إلا به ، وأنه هو المهدي الذي أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنه يعلم كل ما يفتقر إليه الدين .

وهذا موضع ينبغي للمسلم أن يثبت فيه ، ويستهدي الله ويستعينه ، لأن الله قد حرم القول بغير علم ، وذكر أن ذلك من خطوات الشيطان وحرم

القول المخالف للحق ، ونصوص التزليل شاهدة بذلك ، ونهى عن اتباع الهوى.

فأما المهدي الذي بشر به النبي صلى الله عليه وسلم فقد رواه أهل العلم العالمون بأخبار النبي صلى الله عليه وسلم ، الحافظون لها ، الباحثون عنها وعن روايتها ، مثل أبي داود ، والترمذي ، وغيرهما ، ورواه الإمام أحمد في مسنده .
فعن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله رجلا من أهل بيتي ، يوطئ اسمه اسمي ، واسم أبيه اسم أبي ، يملأ الأرض قسطا وعدلا ، كما ملئت ظلما وجورا) ^{٤٥} .

وروي هذا المعنى من حديث أم سلمة وغيرها .
وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : (المهدي من ولد ابني هذا) . وأشار إلى الحسن .
وقال صلى الله عليه وسلم : (يكون في آخر الزمان خليفة يحشو المال حثوا) ^{٤٦} . وهو حديث صحيح .

فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن اسمه محمد بن عبد الله ، ليس محمد ابن الحسن . ومن قال : إن أبا جده الحسين ، وإن كنيته الحسين أبو عبد الله فقد جعل الكنية اسمه ، فما يخفى على من يخشى الله أن هذا تحريف الكلم عن مواضعه ، وأنه من جنس تأويلات القرامطة ، وقول أمير المؤمنين صريح في أنه حسني لا حسيني ، لأن الحسن والحسين مشبهان من بعض الوجوه بإسماعيل

^{٤٥} - أخرجه أبو داود وأحمد والترمذي ، وانظر في أحاديث هذا الباب ، تحفة الأحوذى وله شواهد كثيرة وأنه من ولد فاطمة . (صحيح الجامع ٥١٨٠) .

^{٤٦} - رواه أحمد ومسلم .

وإسحاق ، وإن لم يكونا نبيين ، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول لهما : (أعيدكما بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة)^{٤٧} . ويقول : (إن إبراهيم كان يعوذ بهما إسماعيل وإسحاق) . وكان إسماعيل هو الأكبر والأحلم ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم وهو يخطب على المنبر والحسن معه على المنبر : (إن ابني هذا سيد ، وسيصلح الله به فئتين عظيمتين من المسلمين)^{٤٨} .

فكما أن غالب الأنبياء كانوا من ذرية إسحاق ، فهكذا كان غالب السادة الأئمة من ذرية الحسين ، وكما أن خاتم الأنبياء الذي طبق أمره مشارق الأرض ومغاربها كان من ذرية إسماعيل ، فكذلك الخليفة الراشد المهدي الذي هو آخر الخلفاء يكون من ذرية الحسن .

وأیضا فإن من كان ابن سنتين كان في حكم الكتاب والسنة مستحقا أن يحجر عليه في بدنه ، ويحجر عليه في ماله ، حتى يبلغ ويؤنس منه الرشد ، فإنه يتيم ، وقد قال الله تعالى :

((وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم)) .

فمن لم تفوض الشريعة إليه أمر نفسه كيف تفوض إليه أمر الأمة ؟ وكيف يجوز أن يكون إماما على الأمة من لا يرى ولا يسمع له خبر ؟ مع أن الله لا يكلف العباد بطاعة من لا يقدر على الوصول إليه ، وله أربعمئة وأربعون سنة ينتظره من ينتظره وهو لم يخرج، إذ لا وجود له .

٤٧- رواه البخاري .

٤٨- أخرجه البخاري .

وكيف لم يظهر لخواصه وأصحابه المأمونين عليه كما ظهر آبائه ، وما
الموجب لهذا الاختفاء الشديد دون غيره من الآباء ؟

وما زال العقلاء قديما وحديثا يضحكون بمن يثبت هذا ، ويعلق دينه به ،
حتى جعل الزنادقة هذا وأمثاله طريقا إلى القدح في الملة ، وتسفيه عقول أهل
الدين إذا كانوا يعتقدون مثل هذا .

لهذا قد اطلع أهل المعرفة على خلق كثير منافقين زنادقة بإظهار هذا
وأمثاله ، ليستميلوا قلوب وعقول الضعفاء ، وأهل الأهواء ، ودخل بسبب
ذلك من الفساد ما الله به عليم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ،
والله يصلح أمر هذه الأمة ويهديهم ويرشدهم .

الندور للمشاهد والمساجد :

وكذلك ما يتعلق بالندور للمساجد والمشاهد ، فإن الله في كتابه وسنة نبيه
التي نقلها السابقون والتابعون من أهل بيته وغيرهم قد أمر بعمارة المساجد ،
وإقامة الصلوات فيها بحسب الإمكان ، ونهى عن بناء المساجد على القبور ،
ولعن من يفعل ذلك ، قال الله تعالى :

((إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة
ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين)) .

وقال تعالى :

((ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك
ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين)) .

وقال تعالى :

((في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة)) .

وقال : ((وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا)) .

وقال : ((ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا)) .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : (من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا في الجنة)^{٤٩} .

وقال : (وبشر المشائين في ظلم الليل إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة)^{٥٠} .

وقال : (من غدا إلى المسجد أو راح ، أعد الله له نزلا كلما غدا أو راح)^{٥١} .

وقال : (صلاة الرجل في المسجد تفضل على صلاته في بيته وسوقه بخمس وعشرين درجة)^{٥٢} .

وقال : (من تطهر في بيته فأحسن الطهور ، وخرج إلى المسجد لا ينهزه إلا الصلاة ، كانت خطواته إحداها ترفع درجة ، والأخرى تضع خطيئة)^{٥٣} .

وقال : (صلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده ، وصلاته مع الرجلين أزكى من صلاته مع الرجل ، وما كان أكثر أحب إلى الله)^{٥٤} .

٤٩ - رواه مسلم .

٥٠ - أخرجه ابن ماجه ، صحيح (صحيح الجامع ٢٨٢٠) .

٥١ - أخرجه البخاري .

٥٢ - أخرجه البخاري .

٥٣ - أخرجه البخاري .

وقال : (سيكون عليكم أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها ، فصلوا الصلاة لوقتها ، ثم اجعلوا صلاتكم معهم نافلة) ^{٥٥} .

وقال : (يصلون لكم ، فإن أحسنوا فلكم ، وإن أساءوا فلكم وعليهم) . وهذا باب واسع جدا .

وقال أيضا : (لعن الله اليهود ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) ^{٥٦} . يحذر مما فعلوا . قالوا : ولولا ذلك لأبرز قبره ، ولكن كره أن يتخذ مسجدا . وهذا قاله في مرضه .

وقال قبل موته بخمس : (إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ، ألا فلا تتخذون القبور مساجد ، فإني أناكم عن ذلك) ^{٥٧} . ولما ذكر كنيسة الحبشة قال : (أولئك إذا مات الرجل فيهم بنوا على قبره مسجدا ، وصوروا فيه تلك التصاوير ، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة) ^{٥٨} .

وكل هذه الأحاديث في الصحاح المشاهير .

وقال أيضا : (لعن الله زوارات القبور ، والمتخذين عليها المساجد والسرج) ^{٥٩} . رواه الترمذي وغيره وقال : حديث حسن .

٥٤ - أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي ، صحيح (صحيح أبو داود ١/١١١) .

٥٥ - أخرجه مسلم .

٥٦ - رواه الشيخان .

٥٧ - رواه الشيخان .

٥٨ - رواه الشيخان .

فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد لعن الذين يتخذون على القبور المساجد ، ويسرجون عليها الضوء ، فكيف يستحل مسلم أن يجعل هذا طاعة وقربة !!؟

وفي صحيح مسلم عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : (بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرني ألا أدع قبر مشرفا إلا سويته ، ولا تمثالا إلا طمسته)^{٦٠} .

وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد)^{٦١} .

وقال : (لا تتخذوا قبري عيداً ، وصلوا عليّ حيثما كنتم ، فإن صلاتكم تبلغني)^{٦٢} .

فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الاجتماع عند قبره . وأمر بالصلاة عليه في جميع المواضع ، فإن الصلاة عليه تصل إليه من جميع المواضع .

وهذه الأحاديث رواها أهل بيته ، مثل : علي بن الحسين عن أبيه عن جده علي ، ومثل : عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب .

٥٩ - أخرجه الترمذي ، (ضعيف الضعيفة ٢٢٥) . والجملة الأولى ثابتة عن النبي عليه الصلاة والسلام .

٦٠ - أخرجه مسلم .

٦١ - رواه مالك وأحمد ، صحيح (تحذير الساجد ١٨) .

٦٢ - رواه أبو داود وأحمد ، صحيح (صحيح أبو داود ٣٨٣/١) .

فكانوا هم وجيرانهم من علماء أهل المدينة ينهون عن البدع التي عند قبره أو غير قبر غيره ، امتثالاً لأمره ، ومتابعة لشريعته .

فإن من مبدإ عبادة الأوثان : العكوف على الأنبياء و الصالحين ،
والعكوف على تماثيلهم ، وإن كانت وقعت بغير ذلك .
وقد ذكر الله في كتابه عن المشركين أنهم قالوا :

((لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا)) .

وقد روى طائفة من علماء السلف أن هؤلاء كانوا قوما صالحين ، فلما ماتوا بنوا على قبورهم ، ثم صوروا تماثيلهم .

وكذلك قال ابن عباس في قوله : ((أفرايتم اللات والعزى . ومناة الثالثة الأخرى)) . قال ابن عباس : كان اللات رجلا يلت السوق للحجاج ، فلما مات عكفوا على قبره ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : (اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد) . ونهى أن يصلى عند قبره .

ولهذا لما بنى المسلمون حجرته حرقوا مؤخرها ، وسنموه لئلا يصلي إليه أحد فإنه صلى الله عليه وسلم قال : (لا تجلسوا على القبور ، ولا تصلوا إليها) رواه مسلم .

وكان صلى الله عليه وسلم إذا خرج إلى أهل البقيع يسلم عليهم ، ويدعو لهم .

وعلم أصحابه أن يقولوا إذا زاروا القبور : (سلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين ، وإن شاء الله بكم لاحقون ، ويرحم الله المستقدمين منكم والمستأخرين ، نسأل الله لكم العافية ، اللهم آجرهم ، ولا تفتنا بعدهم ، واغفر لنا ولهم) ^{٦٣} .

هذا مع أن في البقيع إبراهيم وبناته أم كلثوم ورقية ، وسيدة نساء العالمين فاطمة ، وكانت إحداهن دفنت فيه قديما قريبا من غزوة بدر ، ومع ذلك فلم يحدث على أولئك السادة شيئا من هذه المنكرات ، بل المشروع التحية لهم ، والدعاء بالاستغفار وغيره .

وكذلك في حقه ، أمر بالصلاة والسلام عليه من القرب والبعد ، وقال : (أكثروا عليّ من الصلاة يوم الجمعة وليلة الجمعة ، فإن صلاتكم معروضة عليّ . قالوا : كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت ؟ يعني : بليت . قال : إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء) ^{٦٤} .

وقال : (ما من رجل يمر بقبر الرجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام) ^{٦٥} .

وكل هذه الأحاديث ثابتة عن أهل المعرفة بحديث النبي صلى الله عليه وسلم .

فالدعاء والاستغفار يصل إلى الميت عند قبره وغير قبره ، وهو الذي ينبغي للمسلم أن يعامل به موتى المسلمين من الدعاء لهم بأنواع الدعاء ، كما كان في حياته يدعو لهم .

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرنا أن نصلي عليه ونسلم تسليما في حياته ومماته ، وعلى آل بيته .

وأمرنا أن ندعو للمؤمنين والمؤمنات في محياهم ومماتهم ، عند قبورهم وغير قبورهم .

٦٤ - أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه والدارمي صحيح (صحيح أبو داود ١/١٩٦).

٦٥ - ضعيف رواه ابن الجوزي في العلل المتناهية و ضعفه .

ونحننا الله أن نجعل الله أندادا ، أو نشبه بيت المخلوق الذي هو قبره بيت الله الذي هو الكعبة البيت الحرام ، فإن الله أمرنا أن نحج ونصلي إليه ، ونطوف به ، وشرع لنا أن نستلم أركانه ، ونقبل الحجر الأسود الذي جعله الله بمثالة يمينه .

قال ابن عباس : (الحجر الأسود يمين الله في الأرض ، فمن استلمه وصافحه فكأنما صافح الله وقبل يمينه) ^{٦٦} .

وشرع كسوة الكعبة ، وتعليق الستار عليها ، وكان يتعلق من يتعلق بأستار الكعبة كالمعلق بأذيال المستجير به ، فلا يجوز أن تضاهى بيوت المخلوقين بيت الخالق .

ولهذا كان السلف ينهون من زار قبر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقبله ، بل يسلم عليه بأبي هو وأمي صلى الله عليه وسلم ، ويصلي عليه كما كان السلف يفعلون .

فإذا كان السلف أعرف بدين الله وسنة نبيه وحقوقه ، وحقوق السابقين والتابعين من أهل البيت وغيرهم ، ولم يفعلوا شيئا من هذه البدع التي تشبه الشرك وعبادة الأوثان ، لأن الله ورسوله هما عن ذلك ، بل يعبدون الله وحده لا شريك له ، مخلصين له الدين كما أمر الله به ورسوله ، ويعمرون بيوت الله بقلوبهم وجوارحهم من الصلاة والقراءة ، والذكر والدعاء وغير ذلك .

فكيف يحل للمسلم أن يعدل عن كتاب الله ، وشرعية رسوله ، وسبيل السابقين من المؤمنين ، إلى ما أحدثه ناس آخرون ، إما عمدا وإما خطأ .

فخطوب حامل هذا الكتاب بأن جميع هذه البدع التي على قبور الأنبياء والسادة من آل البيت والمشايخ المخالفة للكتاب والسنة ، ليس للمسلم أن يعين عليها ، هذا إذا كانت القبور صحيحة ، فكيف وأكثر هذه القبور مطعون فيها ؟ .

وإذا كانت هذه النذور للقبور معصية قد نهى الله عنها ورسوله والمؤمنون السابقون ، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : (من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصيه) ^{٦٧} .

وقال صلى الله عليه وسلم : (كفارة النذر كفارة اليمين) ^{٦٨} . وهذا الحديث في الصحيح .

فإذا كان النذر طاعة لله ورسوله ، مثل أن ينذر صلاة أو صوما أو حجا أو صدقة أو نحو ذلك ، فهذا عليه أن يعنى به .

وإذا كان المنذر معصية كفرا أو غير كفر ، مثل : أن ينذر للأصنام كالنذور التي بالهند ، ومثلما كان المشركون يندرون لآلهتهم ، مثل : اللات التي كانت بالطائف ، والعزى التي كانت بعرفة قريبا من مكة ، ومناة الثالثة الأخرى التي كانت لأهل المدينة .

وهذه المدائن الثلاث هي مدائن أرض الحجاز ، كانوا يندرون لها النذور ، ويتعبدون لها ، ويتوسلون بها إلى الله في حوائجهم ، كما أخبر عنهم بقوله : ((ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى)) . ومثلما ينذر الجهال من المسلمين لعين ماء ، أو بئر من الآبار ، أو قناة ماء أو مغارة ، أو حجر ، أو شجرة من الأشجار ، أو قبر من القبور ، وإن كان قبر نبي أو رجل صالح ، أو

^{٦٧} - أخرجه البخاري .

^{٦٨} - أخرجه مسلم .

ينذر زيتا أو شمعا أو كسوة أو ذهباً ، أو فضة لبعض هذه الأشياء ، فإن هذا كله نذر معصية لا يوفى به .

لكن من العلماء من يقول : على صاحبه كفارة يمين ، لما روى أهل السنن عن النبي صلى الله عليه وسلم : (لا نذر في معصية ، وكفارته كفارة يمين)^{٦٩} وفي الصحيح عنه أنه قال : (كفارة النذر كفارة يمين)^{٧٠} .

وإذا صرف من ذلك المنذور شيء في قرابة من القربات المشروعة كان حسناً ، مثل : أن يصرف الدهن إلى تنوير بيوت الله ، ويصرف المال والكسوة إلى من يستحقه من المسلمين ومن آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسائر المؤمنين ، وفي سائر المصالح التي أمر الله بها ورسوله . وإذا اعتقد بعض الجاهل أن بعض هذه النذور المحرمة قد قضت حاجته بجلب المنفعة من المال والعافية ونحو ذلك ، أو بدفع المضرة من العدو ونحوه ، فقد غلط في ذلك .

فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن النذر وقال : (إنه لا يأتي بخير ، ولكنه يستخرج به من البخيل)^{٧١} .

فعد النذر مكروهاً ، وإن كان الوفاء به واجباً إذا كان المنذور طاعة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن النذر لا يأتي بخير ، وإنما يستخرج به من البخيل ، وهذا المعنى قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير

٦٩ - رواه مسلم .

٧٠ - رواه مسلم .

٧١ - أخرجه البخاري .

وجهه ، فيما كان قرابة محضة لله ، فكيف بنذر شرك ؟ فإنه لا يجوز نذره ولا الوفاء به .

وهذا وإن كان قد عمر الإسلام ، وكثر العكوف على القبور التي هي للصالحين من أهل البيت وغيرهم ، فعلى الناس أن يطيعوا الله ورسوله ، ويتبعوا دين الله الذي بعث به نبيه ، صلى الله عليه وسلم ، ولا يشرعوا من الدين ما لم يأذن به الله ، فإن الله إنما أرسل الرسل ، وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله ، وليعبدوا الله وحده لا شريك له .

كما قال تعالى :

((واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون)) .

وقال تعالى :

((شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب)) .

وقال تعالى :

((ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة)) . وقال تعالى في حق الذين كانوا يدعون الملائكة والنبیین :

((قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا)) .

وقال : ((ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبیین أربابا يأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون)) .

ورد على من اتخذ شفعاء من دونه فقال :

((أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون)) .

وقال : ((اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون)) .

وقال تعالى :

((من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه)) .

وقال :

((وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى)) .

وقال تعالى :

((ولا يشفعون إلا لمن ارتضى)) .

قال :

((ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له)) .

وكتبُ الله من أولها إلى آخرها تأمر بإخلاص الدين لله ، ولا سيما الكتاب الذي بعث به محمد صلى الله عليه وسلم أو الشريعة التي جاء بها ، فإنها كملت الدين .

قال تعالى :

((اليوم أكملت لكم دينكم)) .

وقال :

((ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون)) .

وقد جعل قوام الأمر بالإخلاص لله ، والعدل في الأمور كلها ، كما قال تعالى :

((قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تهودون . فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة)) .

ولقد خلاص النبي صلى الله عليه وسلم التوحيد من دقيق الشرك وجليله ، حتى قال : (من حلف بغير الله فقد أشرك)^{٧٢} رواه الترمذي وصححه . وقال : (إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت)^{٧٣} . وهذا مشهور في الصحاح .

وقال : (ولا يقولن أحدكم ما شاء الله وشاء محمد ، ولكن قولوا : ما شاء الله ، ثم شاء محمد)^{٧٤} .

وقال له رجل : ما شاء الله وشئت ، فقال : (أجعلني لله ندا ؟ بل ما شاء الله وحده)^{٧٥} .

وروي عنه أنه قال : (الشرك في هذه الأمة أخفى من ديب النمل)^{٧٦} . وروي عنه أن "الرياء شرك"^{٧٧} .

٧٢- أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجة والدارمي وأحمد ، صحيح (صحيح الجامع ٦٠٨٠) .

٧٣- أخرجه أحمد والترمذي ، صحيح (صحيح الجامع ١٩١٩) .

٧٤- أخرجه الدارمي وابن ماجة وأحمد ، صحيح (الصحيحة ٢٦٤/١) .

٧٥- أخرجه الإمام أحمد ، حسن (الصحيحة ٢٦٦/١) .

٧٦- أخرجه الإمام أحمد ، صحيح (صحيح الجامع ٣٦٢٤) .

وقال تعالى :

((فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا)) .

وعلم بعض أصحابه أن يقول : (اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم) .

ومن هذا الباب الذين يسألون الصدقة أو يعطونها لغير الله ، مثل من يقول : لأجل فلان ، إما بعض الصحابة ، أو بعض أهل البيت ، حتى يتخذ السؤال بذلك ذريعة إلى أكل أموال الناس بالباطل ، ويصير قوم ممن ينتسب إلى السنة يعطي الآخرين ، والشيطان قد استحوذ على الجميع ، فإن الصدقة وسائر العبادات لا يشرع أن تفعل إلا لله ، كما قال تعالى :

((وسيجنبها الأتقى . الذي يؤتي ماله يتزكى . وما لأحد عنده من نعمة تجزى . إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى . ولسوف يرضى)) .
وقال تعالى :

((وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون)) .
وقال : ((مثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل)) .
وقال :

((ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً . إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً)) .
وقال تعالى كلمة جامعة :

((وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة . وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة)) .

وعبادته تجمع الصلاة وما يدخل فيها من الدعاء والذكر ، وتجمع الصدقة والزكاة بجميع الأنواع، من الطعام واللباس والنقد وغير ذلك .
والله يجعلنا وسائر إخواننا المؤمنين مخلصين له الدين ، نعبده ولا نشرك به شيئا ، معتصمين بحبله ، متمسكين بكتابه ، متعلمين لما أنزل من الكتاب والحكمة ، ويصرف عنا شياطين الجن و الإنس ، ويعيذنا أن تفرق بنا عن سبيله ، ويهدينا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .
والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليما كثيرا.

الفهرس

.....	مقدمة الشيخ ابو تراب	٣
.....	اول كتاب حقوق ال البيت	٦
.....	وحدة المسلمين بالكتاب والسنة	٧
.....	اهل البيت و خصائصهم	٩
.....	صفات اهل الفيء	١٢
.....	سب الصحابة حرام على اهل البيت وغيرهم	١٢
.....	جهل الشيعة بمذهب الامام على	١٤
.....	عوامل الضلال	١٦
.....	اهل الاستقامة عند المصيبة	١٩
.....	بدع وضلالات	٢٣